

التبيان في تفسير القرآن

(476) قوله تعالى: ولا أقول لكم عندي خزائن إله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم إله خيرا إله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين (31) آية في هذه الآية تمام الحكاية عما قال نوح لقومه وحاجهم به، وهو أن قال لهم مضافا إلى ما مضى حكايته " ولا أقول لكم عندي خزائن إله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك " والمعنى إني لا أرفع نفسي فوق قدرها، فأدعي أن عندي خزائن إله من الأموال فأعطيكم منها وأستطيل عليكم بها، أو أقول إني أعلم الغيب، أو أقول لكم إني ملك روحاني غير مخلوق من ذكر وأنثى بخلاف ما خلقتني إله، بل أنا بشر مثلكم وإنما خصني إله بالرسالة وشرفني بها. وقيل معنى خزائن إله مقدوراته لانه يوجد منها ما يشاء. وفي وصفها بذلك بلاغة. وقيل " لا أقول لكم عندي خزائن إله " فادعوكم إلى أن أعطيكم منها، ذكره ابن جريج. و (الغيب) ذهاب الشئ عن الإدراك، ومنه الشاهد خلاف الغائب. وإذا قيل: علم الغيب معناه علم من غير تعلم، وهو جميع الغيب، وعلى هذا لا يعلم الغيب إلا إله تعالى. وقوله " ولا أقول للذين تزدري أعينكم " أي لست أقول للذين احتقرتهم أعينكم. و (الازدراء) الافتعال من الزراية، يقال: زريت عليه إذا عبته، وازريت عليه إذا قصرت به، والازدراء الاحتقار. وقوله " لن يؤتيهم إله خيرا " معناه لا أقول لهؤلاء المؤمنين الذين احتقرتموهم أنهم لا يعطيهم إله في المستقبل خيرا من أعمالهم، ولا يثيبهم عليها، من حيث لا علم لي بباطنهم بل إله أعلم بما في أنفسهم، هل هم مؤمنون في باطنهم أم لا، ومتى قلت لا يعطيهم خيرا كنت إذا من الظالمين الذين ظلموا أنفسهم وغيرهم.